العولمة و الهيراراكية (قراءة فكرية: في العلاقة العمودية بين " المركز " الرأسمالي " و " الأطراف " النامية)

د عبدالسلام شهيد عجمي العيسى

جامعة ذي قار - كلية الإعلام

المقدمة

ما زالت العولمة تطرح أسئلتها وتحدياتها بحدة على العالم , وبالتحديد على المجتمعات و الدول التي ليست في عداد قواها , والتي تجد نفسها ضعيفة الممانعة لأحكامها القهرية , مثل مجتمعات الدول النامية , فالثابت حتى الآن ان العولمة تكرس انتصار المجتمعات الرأسمالية الغربية في المنافسة الاقتصادية والعلمية والثقافية والسياسية والاعلامية . وتفتح أمامها مجدداً فرصاً أوفر لمزيد من إحراز

الوردية التي رسمها انصار العولمة والتي تأطرت بمقولة , ان الحل الوحيد للدول النامية اذا ما أرادت التقدم والازدهار والرفاهية لشعوبها هو الاندماج واللحاق بركب العولمة بأسرع ما يمكن للاستفادة من خيراتها ومحاسنها العديدة .لذلك فان هذه الدراسة انطلقت من فرضية مفادها (ان العولمة بوصفها ظاهرة رأسمالية غربية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية تنطوي على أبعاد مختلفة اقتصادية وسياسية وثقافية , تهدف إلى اختراق بنية الدول النامية (الأطراف) , وذلك بغية تعميق تبعيتها لصالح دول المركز الرأسمالي لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية)

النجاحات على صعيد تعظيم الثروة والتفوق واحتكارهما , مثلما تكرس دونية المجتمعات النامية وضعيفة النمو في هيكل توزيع القوة على النطاق العالمي , وتعيد إنتاج شروط المزيد من تهميشها , وتقود أحكام هذا الواقع إلى ما يمكن تسميته بهراراكية دولية ، أي حالة غير متكافئة وغير عادلة على صعيد العلاقات الدولية بين الدول الكبرى والدول النامية .إزاء هذا الواقع انبرى العديد من المفكرين والباحثين على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم الفكرية إلى دحض وتفنيد تلك الصورة ولإثبات هذه الفرضية فإننا قسمنا هذه الدراسة إلى أربعة مباحث :المبحث الأول : تناولنا فيه (ماهية العولمة وهويتها الاشتغالية) , اما المبحث الثاني فجاء حول (العولمة والعلاقات الهيراراكية في المجال الاقتصادي) , اما المبحث الثالث فخصص للبحث حول (العولمة والعلاقات الهيراراكية في المجال السياسي , وجاء المبحث الأخر ليعالج مسالة (العولمة والعلاقات الهيراكية في المجال الثقافي) .

المبحث الأول

مفهوم العولمة وهويتها الاشتغالية

المطلب الاول : مفهوم العولمة

ظهر مصطلح " العولمة " أولاً باللغة الإنكليزية , ثم ترجم إلى لغات أخرى وبينها اللغة العربية ، والى جانب كلمة " العولمة" جرى تداول كلمات أخرى في اللغة العربية ترجمة للفظ الإنكليزي (globalization) منها (الكوكبة) و (الكونية) ووجد متحمسون لكل كلمة من الكلمات , ولكل منهم حججه في ذلك , ولكن يبدو الأن غلبة لفظ (العولمة) على غيره من الألفاظ الاخرى للدلالة على هذه الظاهرة [٢] .

ونظراً لكون هذه الظاهرة تتصف باتساع نطاقها وشمولها كافة الأنشطةالإنسانية تقريبا لذلك تحتاج على غرار غيرها من الظواهر التي تفاجئنا بظهورها بين الحين والأخر ,إلى تقصٍ مفاهيمي دقيق من اجل تعيينها والإحاطة بها . وهذا ما سنحاول بيانه والإلمام به عبر تناول مفهوم هذه الظاهرة على مستويين فكريين , هما الفكر الغربي والفكر العربي.

اولاً: مفهوم العولمة في الفكر السياسي الغربي :-
يدور في الفكر الغربي جدال وسجال واسع لا ينتهي بين انصار العولمة وخصومها , ويقف المفكر الأمريكي صاحب الأطروحة الشهيرة " نهاية التاريخ " فرانسيس فوكاياما من أوائل المدافعين عن العولمة فهو لا يرى فيها سوى وجه مشرق للتحديث والشفافية والانفتاح , وتحقيق مستوى افضل من التعليم والإدارة , حيث تأتي العولمة من وجهة نظر فوكاياما كنتيجة للنهاية الحتمية للتاريخ بانتصار الأفكار الليبرالية التي تتبناها الولايات المتحدة الأمريكية بحيث ينتهي التاريخ عندها ويدور في فلكها إلى ما لا نهاية[٢] , وينضم اليه المعلق السياسي الأمريكي"توماس فريدمان " حيث يرى في العولمة فرصة للأفرادلأثبات قدراتهم على التأثير متجاوزين حتى الحكومات والمؤسسات , فالأفراد المؤهلين معرفياً وتقنياًلديهم القدرة على القيام بأدوار رئيسية في تغيير الأوضاع الاجتماعيةوالاقتصادية وحتى السياسية على المستوى الوطني والإقليمي وربما الدولي . وهو ما يرتبط مباشرة بمبدأالرأسماليةالأساسي القائم على الحرية الفردية كهدف اسمى .

ويصور " إيفان لوراد " العولمة كضرورة حتمية تفرضها علينا التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يحتكم اليها عالم اليوم الذي تقلص بفعل السرعة وتطور الاتصالات مما أتاح للناس الفرصة للتعرف على ما يدور خارج حدود بلدانهم وبالتالي اصبحوا متأثرين وقادرين على أحداثالتأثير في الاحداث التي تجري في العالم . كما يتحدث " لوراد " عن المشاعر المشتركة والمصير المشترك الذي غدا يربط الناس جميعا وهو ما ترك أثرا عميقا في صياغة الاتجاهات السياسية الجديدة بعيدا عن تأثير الدول القومية .[٣]

ليس ببعيد عما طرحه " لوراد " نجد " ماترين وولف " يعتبر العولمة عمليه تحررية تاريخيه من أسر الدولة القومية إلىافقالإنسانية , ومن نظام التخطيط الصارم إلى نظام السوق الحرة , ومن الولاء لثقافة ضيقة ومتعصبة إلى ثقافة عالمية واحدة يتساوى فيها الناس والأمم جميعا , وتحرر من

التعصب لايدلوجية معينة إلى الانفتاح على مختلف الأفكار , والتحرر من كل الصور اللاعقلانية الناتجة عن التحيز المسبق لامة او دين او ايدلوجية معينه إلى عقلانية العلم والثقافة [٤] .

في المقابل يقيم البعض الاخر تعريفه للعولمة على السلبيات المنجرة عن هذه الظاهرة والتي أصبحت تنتشر وتمس كل مقومات الإنسانية دون مراعاة للاختلاف الحضاري والثقافي والمعرفي .فيرى " اولريشبك " ان العولمة هي انهيار وحدة الدولة الوطنية والمجتمع الوطني وتكوّن علاقات جديدة وبروز المنافسة والتداخل بين مكونات الدولة الوطنية والممثلين من جهة أخرى [٥].

كما يرى " ستيفان كستل " في اطار تناقضات العولمة، انها تعني فرض التغيرات الجذرية على المجتمعات المحلية , عن طريق قوة جبارة من الأعلى[٦] . ومن جهتهِ يقدم " فردريك جيمسون " تصورا اكثر تفصيلاً عن مآلات العولمة وتناقضاتها وذلك في اطار استقرائه لأبعادهاالمختلفة , فيرى ان العولمة في بعدها السياسي , تتمثل في مسألة دور الدولة , والحاجة او عدم الحاجه إلى وجودها , وهذا ما يصفه "جيمسون" بانه حالة توتر نابعه من سطوة السياسة الأمريكية بشكل خاص , والتي ستحدد من خلال استتراتيجياتها الخارجية أدوار الدول في العالم . ويرى أيضا ان العولمة في بعدها الثقافي تتمثل في التوحيد النمطي للثقافة العالمية ، وإخراج الصور المحلية واستبدالها بسطوة الثقافة الغربية والأمريكية تحديدا ، وضعف الصناعة المحلية أمام المنتج الثقافي الوافد .اما من حيث البعد الاقتصادي للعولمة فيرى "جيمسون" انه يتمثل في سطوة الصناعات الاستهلاكية الغربية والسيطرة المتواصلة للشركات متعددة الجنسيات على مقدرات الاقتصاد العالمي، وأضعاف البنى الاقتصادية المحلية لا سيما في الدول النامية [٧] .

من كل ما تقدم نخلص إلىالقول ، انه وبغض النظر عن المواقف المؤيدة للعولمة او الرافضة لها ، فأن جميع التعريفات السابقة تؤكد على وجود قوى تسّير هذه الظاهرة وتحدد ملامحها، وهذه القوى تتمثل في الحضارة الغربية الرأسمالية وتحديداً الولايات المتحدة الأمريكية التي تسعى ، من منطلق هيراراكيإلى تصدير قيمهاومؤسساتها و ثقافتهاإلى المجتمعات و الدول الاخرى وذلك بهدف الهيمنةوالسيطرة على العالم .

ثانياً: مفهوم العولمة في الفكر السياسي العربي :

بالرغم من ان المفكرين والباحثين العرب المهتمون بظاهرة العولمة اتفقوا تقريبا على ان الكلمة جديدة الإ انهم اختلفوا في إدراكهم المفاهيمي لهذه الظاهرة . فقسم منهم نظر اليها نظرة إيجابية وتعامل معها على هذا الأساس ، ومن هولاء - علي حرب ومحمود أمين العالم – واللذان اعتبرا العولمة مشروعاً حضارياًإنسانياً ، على أساس انها تمثل جملة عمليات تاريخيه متداخلة تتجسد في تحريك المعلومات والأفكاروالأموال والأشياء والأشخاص، بصورة لا سابق لها من السهولة والآنية والشمولية والديمومة ، أنها قفزة حضارية تتمثل في تعميم التبادلات الإقتصاديةوالإجتماعية والثقافية على نحو

يجعل العالم واحدا من حيث كونه سوق للتبادل او مجالاً للتداول او افقاً للتواصل [٨].

وقسم اخر – وهم الأكثرية – نظروا إلى العولمة نظرة سلبية مقرونه بانهيار احد قطبي نظام التوازن الدولي المعاصر (الاتحاد السوفيتي السابق) ، وتفرد الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة العالم والتي أعلنت على لسان رئيسها الأسبق "جورج بوش الأب " قيام النظام العالمي الجديد[٩] .

فقد اعتبر صادق جلال العظم ، العولمة بأنها (حقبة للتحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ)[١٠].

واعتبر سمير أمين، ان(لا جديد في العولمة، فهي تشكل بالنسبة اليه موجه ثالثة من التوسع الاستعماري لا تختلف في أهدافهاعن أهداف الموجات السابقة ، وذلك ان أهداف رأس المال المهيمن للشركات العملاقة المتعددة الجنسيات تبقى في غزو موارد الكوكب ، والاستفادة من مزيد من استغلال المال في الأطراف)[١١] .

ويرى علاء زهير الرواشدة بأن العولمة ، هي (محاولة لفرض الفلسفة البراجماتية النفعية المادية العلمانية ، وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع)[١٢] , ومن جهته يتعامل حسن حنفي المفكر الإسلامي-اليساري كما يصف نفسه ، مع العولمة من عدة أبعاد فيقول بأنها في مظهرها الأساسي (تكتل اقتصادي للقوى العظمى للاستثمار بثروات العالم وموارده الأوليةوأسواقهعلى حساب الشعوب الفقيرة) كما يعتبر العولمة في بعدها السياسي ، (احد أشكال الهيمنة السياسية بعد انهيار المعسكر الشيوعي ، وانها نقيض للدولة الوطنية)[١٣] .

اما مصطفى عبد الغني ، فيرى انه (بالنظر لكثرة التعريفات التي تطلق على العولمة ، فإنه لا يبقى أمامنا غير تعريف واحد لا يحتاج إلى جهد كبير ، فالعولمة هنا تعني ... الأمركة بكل وضوح) مستدلاً على ذلك بما طرحه المفكر الأمريكي "توماس فريدمان" الذي قال (أن الخطط والأطروحات المتتابعة التي يشهدها العالم اليوم من أجل ولادةالعولمة إنما ترتبط عموماً بالمشروع السياسي الأمريكي الجديد) [١٤] . ومن جانبنا نرى ان العولمة ، هي مرحلة متطورة من مراحل الرأسمالية الغربية، تتعدى المجال الاقتصادي نحو المجالات السياسية والثقافية تقودها الولايات المتحدة الأمريكية بهدف إعادة صياغة العلاقات الدولية – من منطلق هيراراكي/فوقي - وبالشكل الذي يعزز هيمنة المركز الرأسمالي ويعمق من تبعية الدول النامية (الأطراف) له .

المطلب الثاني : هوية العولمة :

على الرغم من تعدد الأطروحات وتباين المقاربات بشأن هوية العولمة، يحدونا الميل – تماشياً مع بعض الآراءإلى اعتبارها أمريكية الموطن والصنع ، وفيما يلي نظامنا البرهاني :

١- لم تطفوا أيديولوجيا العولمة الأمريكية الإ بعد تصفية وانهيار الاتحاد السوفيتي ومنظومته الاشتراكية ، والذي بانهياره انهار التوازن العالمي

، وتفردت بقيادة العالم دولة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية[١٥] .

٢- مثلت حرب الخليج الاختبار الأول للهيمنة الأمريكية المنفردة واختباراً لمصداقية حلفائها الأوربيين بالخصوص,وفي اثنائها تم الإعلان عن ولادة النظام العالمي الجديد

٣- بالتوازي مع الكليانيةالعسكرية والسياسية المتخفية تحت مظلة الأممالمتحدة بالقانون الدولي، استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية، ان تؤسس كليانيةإقتصادية وماليه من خلال شركاتها المتعددة الجنسيات المترامية على أطراف العالم، ومن خلال مؤسساتها البنكية العالمية : صندوق النقد الدولي، البنك العالمي للإعمار والتنمية ، ومنظمة التجارة العالمية [١٦] .

٤- مكنت الهيمنة على الفضاء الولايات المتحدة الأمريكية :

- من أحكام مراقبة العالم
- تحقيق ثورة اتصالية جبارة بواسطة الأقمار الصناعية، وبالنتيجة التحكم في الإعلامالعالمي بواسطة اللوبيات الإعلامية المعروفة تحت إسمCNN , ABC , CBC , الخ .
- مكن تعميم الكمبيوتر والبرمجيات الاعلامية التي ابتكرها (بيل غيتس) وأخرون من تعميم شبكة الأنترنت على مختلف مناطق العالم بعد ان كانت محدودة في دائرة البنتاغون[١٧] .

وبهذا الشكل – كما يقول باربر ديهايد – فان العولمة لا تعني(سوى كونية وعالمية المحلي الأمريكي) , وهذا بالضبط ما عبر عنه الرئيس الأمريكيالأسبق (بيل كلينتون) بقوله : (ان أمريكا تؤمن بان قيمها صالحة لكل الجنس البشري , واننا نستشعر ان علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا) [١٨] .

المبحث الثاني

العولمة والعلاقات الهيراراكية في المجال الاقتصادي

ان الوسط الاجتماعي للعولمة , ضمن عالمنا المعاصر , عالم العصر الحديث بأكمله وخاصة منذ القرن السابع عشر حتى الأن , أي على امتداد أربعة قرون تقريباً , ان هذا " الوسط " يتمثل في (النظام الاقتصادي العالمي للرأسمالية) . فقد انشات الرأسمالية الأوربية الغربية ,فالأوربية – الأمريكية , نظاماً (هيراراكياً) قوامه الهيمنة على سائر العالم . واتخذت هذه الهيمنة في تطورها التاريخي , صورتين : صورة موجهه لعلاقة غرب اوربا بكل شرق اوربا وشمال أمريكا , وتبلورت هذه الصورة أخيراً خلال القرن التاسع عشر في عملية ((الرسملة)) ... ثم صورة أخرى موجهه لعلاقة اوربا الغربية (وانضمت اليها الولايات المتحدة الأمريكية, وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية) بأفريقيا واسيا و أمريكا الجنوبية , صورة تبلورت خلال القرن التاسع عشر في الاستعمار[١٩] , بكل ما يتضمنه وينطوي عليه من هيمنة للمراكز الرأسمالية الغربية (الأوربية – الأمريكية) على العالم الخارجي , عالم (غير الغرب) او (غير الرأسمالية) في أفريقياو أسيا و أمريكا اللاتينية , وتبلورت هذه الصورة – بعد الحرب العالمية الثانية في اطار حقيقة جوهرية مفادها " التطور غير المتكافئ " بين

الرأسمالية المركزية والعالم الذي تسيطر عليه او تفرض عليه التبعية لها , عالم القارات الثلاث ... وتلك هي علاقة السيطرة /التبعية و التي تتجلى على المستوى القاعدي في تقسيم العمل الدولي الرأسمالي الذي يفرض صيغة للتخصص الإنتاجي غير المتناظر بين الرأسمالية ومحيطها المتخلف [٢٠] .

ولكن مع انهيار نظام القطبية الثنائية بانهيار الاتحاد السوفيتي في مطلع التسعينات من القرن العشرين , دخل النظام الرأسمالي مرحلة جديدة من مراحل تطوره التاريخي , الإ وهي مرحلة " العولمة " والتي عبرت عن حقيقة اعمق في مسيرة تطور النظام الرأسمالي , حيث سعى القسم الأشد " قوة " و "قسوة "من الرأسمالية الغربية , ذلك القسم الأكثر " محافظة " و "عنصرية " لفرض الرأسمالية (الحرة) من التدخل الوظيفي للدولة - الرأسمالية (المتحررة) من القيود - على كل العالم [٢١] . وبالتالي اصبح من غير المقبول , من طرف العالم المهيمن وقيادته المركزية , ان تقوم في العالم الثالث (عالم الأطراف النامية) اقتصادات " قومية " متمحورة حول الدولة الوطنية , وإنما تقوم اقتصادات مفتوحة مباشرةً على الخارج الأكثر تطوراً , بحيث تعكس السياسات الاقتصادية المحلية حاجات محددة في الخارج , ولا تعتبر عملية صنع السياسة الاقتصادية – بهذه المثابة – من وظائف الدولة الوطنية ولكن من متعلقات قوى (اجنبيه) جبارة يقال لها قوى "عالمية ".[٢٢]

لقد روج دعاة العولمة مجموعة من المقولات لصالح العولمة , ومن ذلك : ان العولمة تبشر بالازدهار الاقتصادي والتنمية والرفاهية لكل الأمم، والعيش الرغيد للناس كلهم , والانتعاش ونشر التقنية الحديثة , وتسهيل الحصول على المعلومات والأفكار عبر الاستفادة من الثورة المعلوماتية الحديثة , وإيجاد فرص للانطلاق للأسواق الخارجية , وتدفق الاستثمارات الأجنبية التي تتمتع بكفاءة عالية , وبالتالي ينتعش الاقتصاد الوطني و القومي [٢٣] .

ولكن سرعان ما اكتشف الباحثون والمفكرون ان تلك المقولات ما هي الإ شعارات دعائية مضللة لاتمت للواقع بصلة .يقول الفيلسوف الفرنسي "روجيه جارودي ان ":(العولمة نظام يمكن الأقوياء من فرض الدكتاتوريات اللاإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين بذريعة التبادل الحر و حرية السوق)[٢٤] .

ويصف الكاتب الأمريكي الشهير " وليام جريدر " في كتابه " عالم واحد مستعدون ام لا ": العولمة بانها(تنطلق متجاهلة الحدود الدولية المعروفة , وبقدر ما هي منعشة فهي مخيفة فلا يوجد من يمسك بدفة قيادتها , ومن ثم لا يمكن التحكم في سرعتها ولا في اتجاهاتها فهو يرى ان العولمة التي حررت راس المال وجعلت المادة تسبق الفكر , وتتخطى جمود السياسات , كانت نتيجتها ظهور تحولات عظمى في العالم اجمع , وبقدر ما بعثت الطموح والرغبة في تكديس الثروات , خلفت وراءها عدم الاستقرار وعدم الأمان وبقدر ما أتاحت من تكنلوجيا حديثة فأنها بعثت البربرية من جديد)[٢٥] .

وفي ذات الاتجاه حذر رئيس وزراء ماليزيا الأسبق مهاتير محمد من المظاهر والتجليات الخطيرة

للعولمة بالقول (انها تتجاوز تحرير التجارة وإلغاء القوانين والأحكام القومية التي تعوق التجارة وتدفق رؤوس الأموال عبر الحدود ,إلى شكل جديد من الاستعمار الاقتصادي مستندة إلىالمبادئالأساسيةللرأسمالية العالمية) [٢٦] .

لقد ظهرت العولمة بالأساس في مجال الاقتصاد , وكنتاج الثورة العلمية التقنية , اذ تغير شكل الرأسمالية , وانتقلت من اطار الدولة القومية إلىالرأسمالية العابرة للقوميات , وبعد هذا التطور أصبحت الحركة الاقتصادية محكومة من قبل فواعل اقتصادية مرتبطة بالدول الرأسمالية[٢٧] , هذه الفواعل الاقتصادية تتمثل بالدرجة الأساس بفاعلين رئيسيين :

اولهما :الشركات المتعددة الجنسيات، والتي أصبحت احدى أدوات النظام الراسمالي الرئيسة في التوسع والانتشار عبر العالم [٢٨] , اذ أخذت هذه الشركات تخترق حدود الدولة وأخذت هذه الحدود تفقد قيمتها الفعلية , وادى هذا الاختراق إلى تهميش الوظائف الاقتصادية التي تمارسها الدولة والمتمثلة في فرض الحواجز الكمركية وممارسة السياسات النقدية والمالية .

وتسعى هذه الشركات إلى تحقيق ذلك من خلال مفاصل عديدة ، حيث تظهر وكأنها فاعل دولي له قدرة حقيقية على الفعل المستقل وبمعزل عن الدولة التي تنتمي اليها , اذ بإمكانها ان تخترق كافة الحواجز والحدود , ويمكن ان تخلق عوائق وتثير تقلبات تؤثر على سوق العمل ومستوى معيشة السكان وعلى حركة رؤوس الأموال وعلى أسعار الصرف وعلى توازن ميزان المدفوعات ... الأمر الذي ينشئ حالة من الاعتماد غير المتكافئ (تبعية اقتصادية) تنعكس أثارها السلبية على استقلالية القرار السياسي للدول التي يتوطن فيها النشاط الإنتاجي[٢٩] .

ولما تتمتع به هذه الشركات متعددة الجنسية من قدرات سياسية و اقتصادية متمثلة في التحكم في تدفقات وتحركات رؤوس الأموال وكذلك تحكمها بأسعار الصرف والأسهمالعالمية ,أضحت بمثابة أداة من أدوات السيطرة ومد النفوذ بيد دولها الأم"الرأسمالية" من خلال التأثير في مضامين عمليات اتخاذ القرارات في الدول المضيفة (الأطراف النامية) بما يتماشى مع مصالحها ومصالح دولها الأم[٣٠] .

يقول الدكتور مجدي قرقر : (ان الشركات المتعددة الجنسيات أدى تطورها وتضخمها إلى تعميق العولمة اقتصادياً, وتعدد أنشطتها في كل المجالات : الاستثمار و الإنتاج والنقل والتوزيع و المضاربة . ووصل الأمرإلى انها قد صارت تؤثر في القرار السياسي والبعد الثقافي والمعرفي للدول النامية)[٣١] , بل والأكثر من ذلك يلاحظ ان هذه الشركات أخذت تتحكم بالشؤون الداخلية للبلدان المضيفة عن طريق الإطاحة بالحكومات واستبدال رئيس برئيس او زعيم بأخر , او إجباره بطرق شتى على اتباع المسلك المطلوب وكذلك بذل جهود واعية ومتعمدة لإقصاءأفكار تتعلق بالولاء للوطن والأمة , وإحلال ولاءات جديدة محلها تتماشى مع متطلبات العولمة ومصالح هذه الشركات [٣٢] , التي يعدها فرانسوا

بيرو ((ليست سوى أدوات في خدمة السياسات الحكومية لدولها الأم))[٣٣] .

اما الفاعل الاقتصادي الثاني، فيتمثل بالمؤسسات الاقتصادية الدولية ((صندوق النقد والبنك الدوليين ومنظمة التجارة العالمية))، حيث أضحتهذه المنظمات ، هي الأداة التي تقوم بإصدار القرارات الاقتصادية العالمية لصالح دول الشمال (الرأسمالية) مما يقيد دول الجنوب ويجبرها على التخلي عن بعض قراراتها الاقتصادية التي هي من قبيل سيادتها الوطنية .[٣٤]

لذلك ، تنبأ " باربر"بان ((جوهر بنية السلطة الجديدة ،في ظل العولمة ،سيكمن في المنظمات الدولية وفي الشركات العابرة للقوميات ، فتنزلق السلطة اكثر فاكثرمن ايدي الدولة القومية ،لاسيما الفقيرة ،الى ايدي هذه المنظمات والشركات)).[٣٥]

والحقيقة ان هذا مايمكن ملاحظته من خلال الشروط التي يضعها كل من صندوق النقد والبنك الدوليين للمقترضينمنهما ، حيث انهما يفرضان شروطاً للمقترضيين تنص على اصلاح هيكلي لنظم السياسة العامة يتمثل الغرض منها ، في زيادة درجة الانفتاح وتقليص الوظائف الاقتصادية للدولة ، لكي تستطيع قوى السوق تشكيل القرارات الاقتصادية بما يتماشى مع احتياجات عولمة الاقتصاد التي تعكس مصالح الدول الراسمالية .[٣٦]

وهذا مايمكن ملاحظته ايضاً بالنسبة لمنظمة التجارة العالمية ، فعلى الرغم من الشروط التي تبدو براقة للحصول على عضويتها والمتمثلة باقامة النظام الديمقراطي وحماية وضمان حقوق الانسان ، الا ان العديد من المفكرين والساسة رأوا فيها وسيلة ((تسمح للدول الغنية بابتلاع الدول الفقيرة)) [٣٧]

بعبارة اوضح ،وكما يقول مهاتير محمد (ان العالم لن يكون اكثر عدلاً ومساواة ، وانما سيخضع للدول القوية المهيمنة - ففي ظل العولمة ومؤسساتها الاقتصادية- سيصبح بامكان الدول الغنية المهيمنة فرض ارادتها على الباقين الذين لن يكون حالهم افضل مما كانت عليه عندما كانوا مستعمرين من قبل اولئك الاغنياء) .[٣٨]

لقد دفع الوضع الهيراراكي للعولمة في المجال الاقتصادي , استاذ علم الاقتصاد الاجتماعي " آلان كايي " الى القول ((انه من الافضل ايجاد بديل للنظام العالمي الجديد ، والبحث عن مؤشرات جديدة يقاس بها تقدم وتخلف الدول ، بعيداً عن اطروحات البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ، لانهما من اسباب افقار دول العالم الثالث لاسيما غير النفطية)). [٣٩] ويضيف "آلان كايي " :(ان فرض نمط حياة واحد لجميع البشر، تبشر به الولايات التحدة من خلال عولمة اقتصاد السوق ، امر غير ممكن ، ويعتبر سابقة خطيرة ، تستوجب الوقوف ضدها بضراوة) .[٤٠]

وينهي " كايي " افادته التي سماها " العيش المشترك " بقوله : (ان عالماً جديداً لابد ان يعاد تشكيله فيما تبقى من ركام الحياة المعاصرة ، ذلك ان تحديات العالم القائم تحتم بروز اقتصاد جديد،اقتصاد اجتماعي معرفي يتاسسعلى الاعتراف بخصوصية الاخر ، وتبنى مفاهيم الشراكة والتعاون وتبادل المنافع بين الشعوب)[٤١]. بعيداً عن واقع

العولمةالراسمالية الراهنة التي تتخذ - بحسب سمير امين - " شكلاً امبرياليأجديداً"[٤٢]، يسعى إلى العودة بشعوب العالم إلى جوهر وقواعد مرحلة النشوء الأول للرأسمالية وآلياتها التدميرية القائمة على قواعد المنافسة الأنانية التي تعمق هيمنة الأقوى للاستيلاء على فائض القيمة في بلاد الأطراف جميعا ، بأسم الشعار القديم (دعه يعمل دعه يمر) كدعوة صريحة تستجيب لفكرة الهيمنة التي تشكل اليوم هدف ومحور نشاط المراكز الرأسماليةالمعولمة الراهنة ولضمان عملية التوسع الإكراهي تجاه مقدرات الشعوب الفقيرة باسم الخصخصة والانفتاح والليبرالية الجديدة تحت ستار زائف من الشكل الأحادي.. الديمقراطي الليبرالي وحقوق الإنسان هدفه الضغط على دول العالم عموما ، والدول النامية خصوصا للأخذ بالشروط الجديدة تحت شعار برامج التصحيح و التكييف الهيكلي [٤٣].

المبحث الثالث

العولمة والعلاقات الهيراراكية في المجال السياسي

العولمة في المنظور السياسي تعني ان الدولة لا تكون هي الفاعل الوحيد على المسرح العالمي , ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات ومنظمات عالمية وجماعات دولية وغيرها من التنظيمات الفاعلة التي تسعى إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل و التعاون و الاندماج الدولي , بحيث تكف الدول عن مراعاة مبدا السيادة الذي يأخذ في التقلص و التأكل تحت تأثير حاجة الدول إلى التعاون فيما بينها في المجالات الاقتصادية والبيئية والتكنلوجية وغير ذلك , مما يعني ان السيادة لا تكون لها الأهمية نفسها من الناحية الفعلية , فالدول قد تكون ذات سيادة من الناحية القانونية, ولكن من الناحية العملية قد تضطر إلى التفاوض مع جميع الفعاليات الدولية , مما ينتج عنه ان حريتها في التصرف بحسب مشيئتها تصبح ناقصة ومقيدة[٤٤] .

ان التحولات التي صاحبت عملية العولمة أدتإلىإضعاف سلطة الدولة في العديد من الميادين التي كانت حكرا عليها , وانسحابها من تحمل مسؤوليتها في تدبير بعض الجوانب الأساسية من السياسة العامة , كالاقتصاد والتنمية الاجتماعية والتعليم والصحة ,واذا كانت هذه المتغيرات التي طرأت على مكانة الدولة لا تشكل تهديداً كبيرا لرفاه الشعوب في البلدان المتقدمة , نظراً لمستوى تقدمها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي , ولقوة مؤسسات المجتمع المدني التي تملك قدرات مادية وبشرية وتنظيمية تأهلها لملىء الفراغ الذي يتركه انسحاب الدولة , فان المجتمعات النامية ستكون اكثر ضحايا هذه العولمة لان دول العالم الثالث (الأطراف) في معظمها هي الأكثرتأثراً بهذه التحولات ، وذلك نظراً لاعتبارات عديدة منها : ضعف وهشاشة أجهزة الدولة و عدم رسوخ مؤسساتها في عديد من الحالات، وتفاقم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية مع تناقص وتأكل قدرات الدولة على التصدي لها , ناهيك عن تدني القدرات التكنلوجية للعديد من هذه الدول , وضعف إمكانيات واطر التعاون الإقليمي فيما بينها [٤٥] .

معنى ذلك ان الإشكاليةالأساسية في اطار العولمة السياسية , لا تكمن بزوال الدولة وذوبانها على الصعيد العملي , فهذا امر مبالغ فيه , فالدولة مازالت موجودة على ارض الواقع تقوم بدورها الطبيعي ،ولكن الإشكاليةالأساسية تقع في التراتبية الهيراراكية بين الدول القوية (الرأسمالية) والدول الضعيفة (النامية) , فالدول النامية هي التي تقوضت سيادتها بفعل العولمة , اما الطرف الأخر من الدول – الرأسمالية – فان العولمة لم تقلص او تقوض سيادتها بل عززت من سيادتها وأعطتها مزيد من السيطرة والنفوذ على حساب الدول الضعيفة ،وهنا يكون المنطق الداروني أي منطق البقاء (للأقوى) هو المعيار او الأساس بخصوص تأثر الدولة بالعولمة[٤٦] .

لقد دخلت الدولة النامية في عالم الجنوب مرحلة العولمة , وهي ما تزال عالة على حضارة عصرها , ولم تستطيع تجاوز حالة التخلف التي تعيشها , ولم تلحق بالمستوى الذي وصلته الدولة القومية في عالم الشمال , فلم تصبح دولة ديمقراطية او دولة القانون والمؤسسات والمساواة و العدل , وعندما تتخلى مثل هذه الدول عن سلطتها المعروفة على مستوى الفعاليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية , فأنها تصبح دولة هامشية , خارج المسيرة العالمية للعولمة , ومن اجل ان تسير مع الركب , يجب ان تجري إصلاحات محددة , في مجال الديمقراطيةوحقوق الانسان وفق الوصفة الغربية عامة والامريكية خاصة [٤٧] .

لذلك يعتقد الكثيرون ممن كتبوا عن العولمة , بأنها في بعدها السياسي , ماهي الا شكل من أشكال الهيمنة الأمريكية لا سيما بعد انهيار المعسكر الشرقي وانفراد المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بالسيطرة على العالم[٤٨] . واستندوا في ذلك إلى ما طرحه الرئيس الامريكي السابق جورج بوش الأب الذي اكد انه مثلما كان القرن المنصرم – أي القرن العشرون – (قرناً امريكياً) فان القرن المقبل – أي القرن الحادي والعشرين – سيكون قرناًأمريكيا, وهو بهذا التوجه كان يشير إلى حصد نتائج الحرب الباردة بعد هزيمة القطب السوفيتي وكتلته وعقيدته , ومن ثم تحقيق التطابق بين الأمركة و العولمة[٤٩].

كما استندوا إلىما جاء في اغلب الأدبياتالأمريكية التي تناولت العولمة,بمعنى تعميم الشي وتوسيع دائرته, او بعباره اكثر دقه، تعميم نمط من الأنماطالفكريةوالسياسيةوالاقتصادية الذي تختص به جماعة معينه او امه معينه على الجميع او على العالم كله[٥٠] . وتبعا لذلك اعتبر المفكر الأمريكي - فرانسيس فوكاياما- ان التوافق الكامن في النظام الرأسمالي الليبرالي كنظام حكم, جعله يزحف على بقية أجزاء العالم في الآونةالأخيرة, وتأكد هذا بانتصاراته المتتالية علىالأيديولوجيات الاخرى كالملكيةالوراثيةوالفاشيةوأخيرالشيوعية،وان النظام الرأسمالي الليبرالي لربما شكل المرحلةالنهائيةفي التطور العقائدي للجنس البشري وبالتالي يصبح هو النظام الأمثل[٥١] ، والحل او الطريق الوحيد الصحيح امام البشرية للتقدم والازدهار ، والذين يسيرون خلاف ذلك فسوف يخرجون من التاريخ [٥٢] .

وهكذا باتت مسالة تعميم الديمقراطية ونشرها تشكل مظهرا أيديولوجيا مثالياً لسيرورة العولمة التي تكف , والحالة هذه , عن كونها محض تعبير عن شراهة الرأسمالية العالمية , ولسوف يفصح هذا الوجه عما لدى " العولمة " الجديدة , من قدرة على توسيع انتشارها ولا سيما لجهة التوظيف الدعائي للأبعادالأخلاقية و الانساق القيمية والإنسانية المعاصرة لتحقيق هذا الانتشار [٥٣] .

بهذا الصدد يقول المفكر الأمريكي " جون ك.جالير " ان (العولمة ليست مفهوماً جدياً , انها كلمة اخترعناها نحن الأمريكان لنخفي غزونا السياسي والاقتصادي لدول أخرى , ولجعل المضاربة لرؤوس الأموال مقبولة)[٥٤] .

معنى هذا ان الدعوات الأمريكية في اطار العولمة السياسية لتبني وعولمة الأنموذج الغربي في الحكم , لا تنطلق من دوافع أخلاقية ترجو الخير للمجتمعات الاخرى باعتبار هذا النموذجهو النموذج الأمثل , بل لان هذا الشكل هو الذي يضمن تحقيق المصالح الغربية افضل مما عداه , ويتضح الهدف اكثر بالنظر إلى تعامل الغرب والولايات المتحدة الأمريكية على وجه التحديد مع هذه القضية بمعايير مزدوجة في الواقع . فهي حينما تدعو إلى تبني هذا النظام وتندد ببعض الأنظمة السياسية التي لا تسير وفق هذا النظام نراها تغض الطرف تماماً عن أنظمةأخرى لا تلتزم هذا النهج ما دامت مصالحها متحققة هناك , بل ان البعض يرى ان الولايات المتحدة الأمريكية لا تحبذ قيام نظم ديمقراطية حقيقية في بعض دول العالم الثالث , وذلك لاعتبارات عديدة منها ادراك الولايات المتحدة الأمريكية بأن النظم والأوضاع القائمة في تلك الدول هي الأنسب من حيث تامين مصالحها الاستراتيجية , بخاصة في بعض الدول التي تربطها بالولايات المتحدة علاقات وروابط خاصة[٥٥] .

يقول الأستاذ "مايكل هدسون " ان (واشنطن التي تروج للديمقراطية في أنحاءالعالم لا يهمها كثيرا التحول الديمقراطي في دول الخليج , ما دامت واشنطن لا تشعر بان لديها مشكلة مع النظم السياسية في المنطقة ،وان ما يعنيها هو الاحتفاظ بنظام سياسي من شانه ان يتيح لأمريكا منفذا إلى المنطقة بما يمتلكه من مصادر الطاقة)[٥٦] .

ان أي تشريح للدعوة الأمريكية في مجال التبني الديمقراطي تعكس , كما يقول" الفن توفلر" (النمط الوظيفي لها كأداة اختراقية إزاء دول العالم وعلى النحو الذي يحد من سيادتها، فالدعوة الأمريكية الديمقراطية لا تستطيع ان تخفي ذلك الاختلال القيمي الذي عرفته مسيرتها التاريخية عندما تعاملت مع الأصدقاء الاستبداديين والزمر العسكرية والدكتاتوريات والذين اشتركوا في سبب واحد هو اتحادهم ضد الشيوعية وبالشكل الذي يعكس تميز السياسة الأمريكيةفي تعاملها مع هذه القضية بقدر من البراغماتيةوالانتهازيةالسياسيه)[٥٧].

وهكذا تغدو الديمقراطية، بعدها الأليةالرئيسيةللعولمةالسياسية، ليست غايه في حد ذاتها, ولكنها وسيله لبناء نظام دولي جديد يعكس التلاشي العملي لهامش الاستقلال الذاتي الذي تمتعت به أقطار العالم الثالث بعد الحرب العالميةالثانية,كما يبدو الهدف من تعميم القيم

والمبادئ الديمقراطية على النظم الاخرى ,هو ليس مجرد تعميمها ,ولكن بالعكس توظيفها دعائياً وسياسيا لتأكيد الحق في القيادة العالمية , ومن ورائها الحق في السيطرة والهيمنة على بقية العالم الذي يتعثر في مسيرته السياسية , فالهدف من السيطرة السياسية والعقائدية , هو تأمين أدوات التحكم بالسياسات الوطنية والإشراف على المصير العالمي [٥٨].

وبالتالي يتبين , ان العلاقة بين العولمة السياسية والهيمنة , هي علاقة ترابط وتلازم , فالهيمنة هي المحصلة الطبيعية والنتيجة البديهية للعولمة السياسية , وتكون الهيمنة لصالح الطرف الأقوى في المعادلة , بحيث تقوم الحلقة الأقوى في عملية العولمة على إحكام سيطرتها على مجريات الأمور في العالم لاسيما على اطرافه النامية الاكثر فقراً والاقل تطوراً[٥٩].

المبحث الرابع

العولمة و العلاقات الهيراكية في المجال الثقافي

ان مفهوم العولمة في مظهره الخارجي يتماشى مع مظهر النظام الدولي الذي يؤكد على التقارب بين الدول والتعاون البناء ولمصلحة الشعوب [٦٠], غير ان واقع الحال يخالف ذلك , اذ ان هناك دولة كبرى تنفرد إلى درجة كبيرة الأن بقيادة العالم وتمتلك موارد اقتصادية هائلة وإمكانيات عسكرية وإعلامية كبيرة ، مع الاعتقاد بسمو وعلو كعب ثقافتها وأيدولوجيتها لا سيما بعد انهزام الأيديولوجية المقابلة لها مع انهيارالاتحاد السوفيتي و منظومته الاشتراكية وعقيدته الشيوعية، والى الدرجة التي جعلت بعضهم يعلن صراحة بان ثقافتهم وقيمهم هي الأرقى وهي خلاصة التجربة الإنسانية وتمثل نهاية التاريخ [٦١] .

يقول فرانسيس فوكاياما ان (أمريكا هي الحقيقة المطلقة ، وإن كل حركة خارج جغرافية التطور الأمريكي ،ليست سوى وهم وان الانتماء إلى المستقبل لا يكونإلا بالانتماء إلى التاريخ الأمريكي)[٦٢] .وبذات الاتجاه يصرح زبيغينوبرجنسكي بانه (ليست هناك سوى قوى عظمى واحدة في العالم هي الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه القوى العظمى يجب ان تكـــون مطلقة وشاملة سياسياً واقتصادياً و ثقافياً وعسكرياً فنحن القوة الوحيدة على جميع الصعد)[٦٣] .

يبدو واضحاًاذاً ، ا ن العولمة في عالم الفكر و الحضارة والتنظيم هي اعادة تعبير عن مقولة رسالة الرجل الأبيض،والتي تجد تأصيلها النظري في فلسفة هيغل التاريخية التي دافع فيها عن مشروعية هيمنة السيد العقلاني الغربي على الأنسان الشرقي الغارق في أوهام تعصبه الديني و المذهبي والعرقي . وقد حاول هانتنغتون حديثاً ان يدافع عن الهيراراكية الثقافية التي دافع عنها هيغل في القرن التاسع عشر، وان يقدم في صراع الحضارات الأساس لفهم غربي قائم على الرغبة في استغلال كل التمايزات العرقية والطائفية لصالح نظام العولمة، وذلك بإذكاء الحروب الأهلية والفتن الدينية والطائفية والصراعات العرقية و القبلية و الدينية لتحقيق هيمنة مطلقة لليبرالية المتوحشة التي تدمر في بحثها النهم عن الأسواق الثقافات المستضعفة و تجرف في طريقها أنماط الاستهلاك التقليدية

الخصوصية، وتصادر الخيرات الاقتصادية البديلة للأمم ، مما يؤكد أن الاختراق الثقافي لنظام العولمة الهيراراكي يحرث الأرض أمام الهيمنة الاقتصادية وتوسيع نموذج اقتصاد السوق ليصير نموذجاً كونياً [٦٤] .يعني هذا ان العولمة ليست نظاما اقتصاديا وحسب بل ترتبط ارتباطا عضوياً مع وسائل الأعلام الحديثة التي تنشر فكراً معيناً وثقافة معينة هي الثقافة الأمريكية . لقد بات واضحاً اليوم ان الثقافة مهددة بالخضوع إلى القواعد المعمول بها في سوق البضائع , ونظراًإلى ان صناعة الثقافة الأمريكية هي المسيطرة عالميا , لا سيما في المجال السمعي والبصري وهي القادرة اكثر من غيرها على استخدام التقنية الحديثة ، اصبحت الشعوب تواجه خطر اقامة فضاء ثقافي عالمي على النمط الأمريكي يكون في خدمة المتطلبات السلعية[٦٥] .

يؤكد "هربرت شيلر" صاحب المساهمات المتميزة في " موضوعة الإمبريالية الثقافية " ان(أسلوبالإعلان الغربي ومضمون الأعلام يدفع إلى التوسع العالمي لثقافة الاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس او تزيل الهويات القومية او الوطنية) [٦٦] . وبذات الاتجاه يقول محمد ادم : ان(العولمة بالمفهوم المعاصر "الأمركة " ليست مجرد سيطرة وهيمنة و التحكم بالسياسة والاقتصاد فحسب , ولكنها ابعد من ذلك بكثير , فهي تمتد لتطال ثقافات الشعوب والهوية القومية الوطنية , وترمي إلى تعميم أنموذج من السلوك وأنماط او منظومات من القيم وطرائق العيش والتدبير , وهي بالتالي تحمل ثقافة غربية أمريكية تغزو بها ثقافات مجتمعات أخرى , ولا يخلو ذلك من توجه استعماري جديد يتركز على احتلال العقل والتفكير , وجعله يعمل وفق أهداف الغازي ومصالحه . وهذا ما أكده جورج بوش الأب حينما قال في مناسبة الاحتفال بالنصر في حرب الخليج الثانية ان القرن القادمسيشهد انتشار القيم الأمريكيةوأنماط العيش والسلوك الأمريكي)[٦٧] .

بهذا الشكل تصبح العولمة الثقافية التي تنادي بها القوى المتنفذة والفاعلة على المسرح السياسي العالمي وبالخصوص الولايات المتحدة الأمريكية , بعد ان تغيب وتستهجن كل الثقافات الوطنية وتبرز معايبها وتحجب ايجابياتها , فعلاً اغتصابيًا ثقافياً وعدواناً سافراً على جميع الثقافات، بعد ان تتم السيطرة عليها من خلال استثمار مكتسبات التقنيات الهائلة في ميداني الاتصالات والمواصلات , مما يمكن هذه الثقافة المدججة بكل أسلحة القوة والنفوذ , من التمدد خارج حدودها الوطنية والقومية ،أي ان تجري أمركة الثقافات الوطنية و القومية بعد اختراقها و جعلها صورة أخرى من صور الثقافة الأمريكية الشعبية , بكل ما تحمله من صور , ابتداءً بالموسيقى والبرامج التلفزيونية والمسلسلات والافلام السينمائية الامريكية المنتشرة في ارجاء العالم ،ومروراً بالنمط الامريكي في اللباس والاطعمة السريعة والمشروبات وغيرها من السلع الاستهلاكية المنتشرة على نطاق واسع [٦٨], وانتهاءً بالانبهار الجذاب والمثير الذي تفعله وكالات الأعلام الرئيسة (CNN , ABC , CBS . NBC) في قيادة الأعلام العالمي وبالطريقة التي يراد منها ان تكون[٦٩].

وهذا بالضبط ما عبر عنه بريجنسكي بقوله : (ان السيطرة الامريكية على العالم تستند الى هيمنتها على الاتصالات فثمانون بالمائة من عدد الكلمات والمشاهد والصور التي تدور حول العالم تأتي من الولايات المتحدة الامريكية)[٧٠].وما عبر عنه ايضاً " جون سنونو "، رئيس موظفي البيت الابيض في عهد جورج بوش الاب ، بالقول (أننا لانحتاجCIAمادام لدينا CNN)[٧١].

ان مثل ذلك الاختراق لا يقف عند حدود تكريس الاستتباع الحضاري بوجه عام , بل انه يسعى إلى تكريس الثنائية والانشطار في الهوية الوطنية القومية , ليس على ما نعيش فيه من زمن , بل ليمتد صعودالىالأجيال القادمة , من خلال النضج الثقافي لثقافة العولمة ،وأسقاط كل محاولة لتجديد الثقافة الوطنية من داخلها , بإعادة بنائها وممارسة الحداثة في معطياتها وتاريخها ،مثل هذا الأمرأدىإلى زيادة بؤر التوتر على مستوى الاختلافات الثقافية والحضارية , بسبب عملية إغراق السوق , التي تمارسها إمبراطوريةالأعلامالأمريكية ,بالثقافة الشعبية الأمريكية متعددة الوجوه وخاصة ان هذا الغزو له سمة خاصة في ظل التقدم التقني الحديث و المتفاوت بين المجتمعات المختلفة والذي يميل بشكل صارخ إلى صالح دول العولمة , وبالتحديد أمريكا،والذي يمكن عده نفياً للثقافة في الدول النامية "الأطراف "[٧٢]. بمعنى ان العالم الغربي ،بقيادة الولايات المتحدة الامريكية ،ينزع نحو التمركز حول الذات متجاهلاً و متعالياً عن التعامل مع أية ثقافات اخرى غير الثقافة الغربية ،من منطلقهيراراكي فحواه ان الحضارة الغربية " بطورها الامريكيالراهنيالمعولم" ترى نفسها بانها الوصي الرسمي على مجمل الانسانية . ولعل هذا مايمكن ان نلمسه بوضوح منذ التبشير الاول لمفهوم العولمة ،وفقاً لقياسات النموذج الامريكي ، والذي عبر عنه الرئيس الامريكي " بنيامين فرانكلين " بقوله(ان امريكا معززة بايديولوجية لن يزعزعها شيء ابداً , وان الولايات المتحدة ستكون مولدة لمجتمع عالمي ، فالمؤسسات والعادات والمبادى الامريكية مخصصة للتطبيق في كل مكان ،ولمحو مابين البشر من اختلافات اينما كانوا ، وان امريكا النموذجية هي ، في رأي مواطنيها ، اعلى كعباً من الامم الاخرى وهي بذلك مدعوة الى ملء مركزها نهائياً)) [٧٣].

هذه الثقافة ، اذن ، تريد من العالم اجمع ان يتبناها ويعتمدها كأساس لتطوره، وكقيمة اجتماعية وأخلاقية. وبذلك فان العولمة الثقافية ، هي تصميم قسري لنموذج ثقافي معين – امريكي – يلغي التمايز والشخصية الثقافية ، ويروج عن طريق تقنيات العلم ووسائل الاعلام الحديثة ، عن سيادة قوانين وقيم المجتمع الليبرالي الراسمالي الغربي ، ويروض نمط الحياة على مستوى الكرة الارضية كلها " [٧٤]

بهذا الصدد يقول العالم الأمريكي المعروف نعوم تشو مسكي(ان العولمة الثقافية ليست سوى نقلة نوعية في تاريخ الأعلام , تعزز سيطرة المركز الأمريكي على الأطراف , أي على العالم كله)[٧٥] , والحقيقة ان ما لاحظه عدد غير قليل من الخبراء الغربيين يعضد ما قاله تشو مسكي , اذ لاحظ هؤلاء الخبراء ان ميزانيات الأعلام منذ عام ١٩٨٦ تطورت إلى درجة أصبحت توازي ميزانيات الدفاع

لدى بعض البلدان . وهذا يفصح عن المدى الهائل الذي بلغه التواصل الإعلامـي في سيرورة العولمة بكل ابعادها وتجلياتها(٧٦) .

ان استيعاب المعطيات المتعلقة بالعولمة الثقافية والحقل الاتصالي تقود ، وفقاً لنموذج " جوهان جالتونج " الذي درس هذه الظاهرة ، الى تقسيم العالم الى جزأين غير متكافئين هما : "المركز " المسيطر على وسائل الاتصال الحديثة ومصادر الانباء والذي تمثله الدول الصناعية المتقدمة وعلى راسها الولايـات المتحدة ، و" الهامش" الاقل تطوراً والمتخلف والذي يمثل دور التابع في النموذج وتمثله الدول النامية (٧٧).

بهذا المدلول يبدو واضحاً ان ما يسوقه مناصروا العولمة الثقافية ،من انها جاءت لخدمة الثقافات المتنوعة وذلك بان تطلق لها إمكانية التعبير عن نفسها والانتقال من نطاقها الضيق إلىأفاق واسعة من العالم وفق فرص متكافئة بحيث تتفاعل الثقافات فيما بينها من خلال ثورة الاتصالات التي تسهل من نقل الأنماط الحضارية والثقافية من منطقة إلىأخرى, **ما هو الإ محض خرافة** – على راي البعض – اذ لا يظهر التوحيد او التقارب الذي تزعمه العولمة الإ بوصفه عملية إكراهيه, يلغي سيادة الأخر ويحول مجددا دون استقلاله السياسي و الاقتصادي و الثقافي , و اما التقارب فهو مقولة جذابة وخادعة في الأن عينه , اذ انه بالقدر الذي يوحي فيه بإلغاء المسافات بين القوى المركزية الغربية ودول الأطراف , يؤكد استلحقاق هذه الأخيرة بالقوة وبالتالي فهو يسقط من حساب العلاقات الدولية مبدأ التوازن و الاحترام المتبادل بين الدول , كما يخترق مبادئ وقواعد السيادة الوطنية .

وبحسب تأويليه " برتران بادي " فان العولمة , هي قوة قاهرة وسالبة لقانون الجماعة الدولية , انها تنزع إلىالأعلاء من شان التفرد , أي تفرد القوة الأعظم بتسيير الوضع العالمي وتدبير أمره وفقا لحاجاتها , وملائمته حسب اقتضاء استراتيجياتها العليا(٧٨) .

تبعا لذلك , يغدو من السذاجة والسطحية تبرئة العولمة الثقافية من مطامع الهيمنة , هذه الهيمنة التي صرح بها الرئيس الأمريكيالأسبق نيكسون منذ الستينات عندما قال (انه يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية استغلال الهيمنة الاعلامية في تكوين أنموذجأمريكي يسود العالم)(٧٩) . وصرح بها ايضاً دافيد روشكوف" المسؤول السابق في حكومة الرئيس الأسبق بيل كلينتون "عندما قال على (الولايات المتحدة استغلال الثورة المعلوماتية الكونية للترويج للثقافة والقيم الأمريكية على حساب الثقافات الاخرى , لان الأمريكان اكثر الأمم عدلاً و تسامحاً وهم النموذج الأفضل للمستقبل , والأقدر على قيادة العالم)(٨٠).وعليه فان العولمة الثقافية هي الامبريالية الثقافية ،كماعبرمرجنثاو، التي تتبع اكثر الطرائق مكرا ودهاء وتسعى الى السيطرة على عقول الناس تمهيدا للسيطرة الاقتصادية والسياسية على الدول والمجتمعات الفقيرة .(٨١) .

ازاء ذلك وبلحاظه ، نرى ان الدعوات الامريكية الرامية للتقليل من شأن مخاطر عولمة الثقافة الامريكية، والتي اطلقها كل من " صموئل هنتنغتون " و "لويس كنتوري " واللذان اكدا على

ان الثقافات التقليدية للأمم والشعوب المختلفة هي ثقافات متعسرة على هضم العولمة ولن تذوب او تختفي سريعاً كونها نتاج قرون عديدة [٨٢]، **نرى انهذه الدعوات** ما هي الا شعارات تضليلية تجافي حقيقة ما هو سائد ، وربما لاتخرج هذه الدعوات عن كونها مناورة امريكية تستهدف بعث الاطمئنان الاسترخائيفي نفوس المستهدفين ، ولكنها تخفي في جوهرها خطر داهم يهدد ثقافة الاخرين وخصوصياتهم الحضارية ، اذ يلاحظ ان الثقافة لاتزال مهددة حتى الان بالخضوع الى مزايدات سوق البضائع وسيطرة انماط الثقافة الامريكية .ولعلما يثبت صحة هذا الزعم ويؤكده ، هو ان هاجس الخوف والقلق من تيار العولمة الثقافية لم يعد يقتصر على الدول النامية فقط ، بل تعداها نحو دول اوربية كبرى مثل فرنسا ,ودول حليفة للولايات المتحدة مثل كندا . فقد ذهب وزير العدل الفرنسي الأسبق " جاك كوبون " الى القول (ان الأنترنت بالوضع الحالي شكل من أشكال الاستعمار , واذا لم نتحرك فأسلوب حياتنا في خطر)[٨٣] . , كما شن وزير الثقافة الفرنسي هجوماً قوياً على أمريكا قائلاً (اني استغرب ان تكون الدول التي علمت الشعوب قدراً من الحرية ودعت إلى الثورة على الطغيان ، هي التي تحاول ان تفرض ثقافة شمولية وحيدة على العالم اجمع ... ان هذا شكل من أشكالالإمبريالية المالية والفكرية , لا يحتل الأراضي ولكن يصادر الضمائر ومناهج التفكير واختلاف أنماط العيش) [٨٤] .كذلك ذهبت نائبة رئيس الوزراء الاسبق ووزيرة التراث الكندية" شيلا كوبس " الى القول (انه اذا ما واصل الامريكيون فرض سيطرتهم على الجماعة الثقافية العالمية باستعمال الوسائل التي يمتلكونها فعليهم ان يتوقعوا لجوء الاخرين الى اجراءات انتقامية بحقهم)[٨٥]

وبالتالي ، وكتحصيل لما سبق ، يمكننا القول , ان العولمة الثقافية هي إرهاص عنيف لنهاية الخصوصيات من خلال وسائل تكنلوجية وانتشار ثقافة ذات مرجعية تتمثل بالدولة الأقوى , مما يجعل ثقافة العولمة عملية تقويض للثقافة الوطنية , حيث لا عولمة دون دولة عولمية ذات بروتوكولات هيمنة تهدد كل ثقافة مغايرة وتتحول من الانفتاح العالمي إلى الاجتياح العولمي التوسعي . مما يعزز التقسيم المتداول " المركز /الأطراف " في مجال العلاقات الدولية ذات الطابع الهيراراكي على كل الأصعدة ومنها الصعيد الثقافي وبالشكل الذي يعني ان ثقافات الأطراف تصبح محتواه في ثقافة المركز (الأمريكي) , ليس على سبيل التفاعل الثقافي الندي , وإنما على سبيل إعادة تشكيل ثقافة المركز لثقافات الأطراف حسب ما تقتضية الحاجات والمصالح المختلفة للمركز , ودونما مراعاة لحاجات ومصالح الأطراف وخصوصياته الحضارية [٨٦] **الخاتمة**

ان ظاهرة العولمة أضحت حقيقة واقعة في حياتنا المعاصرة , ولم يعد بالإمكانإنكارهذه الظاهرة او تجاهلها او التغاضي عنها . وهذه الظاهرة بمجالاتها ومستوياتها المتعددة تتجه تحديداً لتأكيد معنى واهميه الهيمنة للقوى المتنفذة والفاعلة في حركة السياسة العالمية في وقتنا الحاضر , والمتمثلة بالقوى الرأسمالية الغربية وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية , والتي تسعى إلىإعادة صياغة العلاقات الدولية بالشكل الذي يعزز هيمتنها وتفوقها

السياسي والاقتصادي والثقافي ويعمق من تبعية الدول النامية (الأطراف) لها .

ان منطق الاستعلاء وإرادة الهيمنة الغربية على الدول الاخرى امر قائم وحاضر ولم يكن غائباً في يوم من الأيام , ولكن مناخ العولمة حمل نذر عهد جديد من عهود الهيمنة الغربية تدعمه القدرة الهائلة للغرب وأمريكا بصورة خاصة على استغلال مناخات العولمة لتعزيز هيمنتها وأحكام قبضتها على مقدرات الأمم و الدول الاخرى , ويدل على ذلك ما أفرزته العولمة عبر الياتها الاقتصادية (الشركات المتعددة الجنسيات والمؤسسات الاقتصادية العالمية) وألياتها السياسية (من خلال التأكيد على مسالة الديمقراطية وحقوق الأنسان) وألياتها الثقافية (من خلال الاختراق الإعلامي عبر شبكات التلفزة و الأنترنت ووكالات الأعلامالأمريكية الرئيسية , CNN , ABC ... الخ) من انحيازات مرعبة وواضحة للدول الرأسمالية المتقدمة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على حساب بقية العالم وتحديداً الأطراف النامية من العالم .

وبالتالي تعبر العولمة بصورة مباشرة عن إرادة الهيمنة على العالم , وتبرز الولايات المتحدة الأمريكية هنا كقوة (هيمنة عالمية) تسعى وبلا هوادةإلى تحويل وتنميط العالم ،لا سيما الدول المختلفة عنها أيديولوجياً وفكرياً وعقائدياً وثقافياً ، وفقاً إلى صورتها وأسلوب حياتها .

الهوامش والمصادر

١- عبد الرشيد عبد الحافظ ,الأثار السلبية للعولمة على الوطن العربي وسبل مواجهتها ,ط١, القاهرة , مكتبة مدبولي,٢٠٠١,ص٨ .
٢- نايف علي عبيد , القرية الكونية واقع ام خيال : في إسامة الخولي وأخرون , العرب إلىأين ؟ سلسلة كتب المستقبل العربي (٢١) , بيروت , مركز دراسات الوحدة العربية , ٢٠٠٢ , ص ١٣٦.
٣- فوزي نايف فرحان , العولمة واثرها على عملية الإصلاح الديمقراطي في الوطن العربي , رسالة ماجستير , جامعة النجاح , كلية الدراسات العليا , ٢٠٠٧ , ص٣١.
٤- غربي محمد , تحديات العولمة وأثارها على الوطن العربي , مجلة اقتصاديات شمال أفريقيا , العدد السادس , ص٢٢.
٥- المصدر نفسه ص ٢٣ .
٦- سعد ناجي جواد و حسن البطاوي , العولمة من وجهة نظر عالم ثالثة , مجلة قضايا استراتيجية , العدد السابع ,٢٠٠١ , ص ١٠٧ .
٧- فوزنايف , مصدر سبق ذكره , ص٣٥-٣٦.
٨- غربي محمد , مصدر سبق ذكره , ص ٢٣-٢٤.
٩- علاء زهير الرواشدة , العولمة والمجتمع , عمان , دار الحامد للنشر والتوزيع , ٢٠٠٨ , ص ١٣ .

١٠- غربي محمد , مصدر سبق ذكره , ص ٢٢ .
١١- فوزنايف , مصدر سابق . ص
١٢- علاء زهير الرواشدة , مصدر سابق ذكره , ص ٢٢ .
١٣- حسن حنفي , العولمة بين الحقيقة و الوهم : حوارات لقرن جديد , بيروت , دار الفكر , ١٩٩٦ , ص ١١٣ .
١٤- مصطفى عبد الغني , الجات والتبعية الثقافية , القاهرة , مكتبة الأسرة , ١٩٩٩ , ص ٧٢
١٥- عبد الرشيد عبد الحافظ , مصدر سبق ذكره , ص ٢١ .
١٦- مصطفى بن تمسك , العولمة وتنامي خطاب الهوية : في سمير أمينوأخرون , العولمة والنظام الدولي الجديد , سلسلة كتب المستقبل العربي (٣٨) , بيروت , مركز دراسات الوحدة العربية , ٢٠١٠ , ص ١٣٦ .
١٧- المصدر نفسه , ص ١٣٦-١٣٧ .
١٨- عمر مصطفى سمحة ، العولمة الثقافية والثقافة السياسية ، نابلس ، كلية النجاح الوطنية ، ٢٠٠٥ ، ص ٤١.
١٩- محمد عبد الشفيع عيسى , الدولة ... والعولمة في الوطن العربي في ضوء مفهوم الدولة الوطنية : في احمد ثابت وأخرون , العولمة وتداعياتها على الوطن العربي , سلسلة كتب المستقبل العربي (٢٤) , بيروت , مركز دراسات الوحدة العربية , ٢٠٠٤ , ص ١٠٣-١٠٤ .
٢٠- المصدر نفسه , ص١٠٤ .
٢١- المصدر نفسه , ص١٠٥ .
٢٢- المصدر نفسه , ص١٠٨ .
٢٣- علاء زهير الرواشدة , مصدر سبق ذكره , ص ٧٦ .
٢٤- أبو بكر عساف , العولمة وأثارها الاقتصادية على البلاد الإسلامية والعالمية على الموقع التالي www.al-waie.org.
٢٥- المصدر نفسه , ص ٧٨-٧٧
٢٦- حسن محمد طوالبه , العولمة : جذورها , مضامينها , أثارها , رؤية قومية في العولمة , مجلة دراسات دولية , مركز الدراسات الدولية , بغداد , العدد (١٤) , ٢٠٠١ , ص ١٢٤ .
٢٧- هاله مصطفى , العولمة : دور جديد للدولة , السياسة الدولية , مركز الأهرام , القاهرة , العدد ١٣ , ١٩٩٨ , ص ٤٣ -٤٤
٢٨- مجذاب بدر الغريري , الشركات متعددة الجنسية وأثارها في عولمة الاقتصاد العالمي , مجلة دراسات دولية , مركز الدراسات الدولية , بغداد , العدد ١٤ , ص١٠ .
٢٩- رعد سامي التميمي , العولمة وأثارها في وظائف دول عالم الجنوب , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة النهرين , كلية العلوم السياسية , ٢٠٠١ ,ص ٨٤.
٣٠- المصدر نفسه , ص ٨٤-٨٥ .
٣١- علاء الرواشدة , مصدر سبق ذكره , ص ٨٠ .
٣٢- محمود حيدر , السيادة في تحولات العولمة : الدولة المغلولة, مجلة شؤون الأوسط , العدد ١٠٠ , ٢٠٠٠ , ص ٥٥ .

٣٣- مارسيل ميرل ,سوسولوجيا العلاقات الدولية , ترجمة : حسن نافعه , القاهرة , دار المستقبل , العربي ,١٩٨٦ , ص ٤١٣.
٣٤- رعد سامي , مصدر سبق ذكره , ص١٠٥ .
٣٥- باربر, السلطة الجديدة : الشركة الجديدة , (في مجموعة باحثين) , الامبريالية واعادة انتاج التابع , ترجمة : ميشيل كيلو ،(دمشق ، د. ن ,١٩٨٦) ص ٢٠٥ .
٣٦- رعد سامي , مصدر سبق ذكره , ٩٤.
٣٧- علاء الرواشدة ، مصدر سبق ذكره ، ص٧٧ .
٣٨- المصدر نفسه ، ص٧٩.
٣٩- موزه احمد العبار ، الاقتصاد والعولمة ، على الموقع www.alarabiya.net
٤٠- المصدر نفسه .
٤١- المصدر نفسه .
٤٢- سمير أمين ,الفيروس الليبرالي (الحرب الدائمة وأمركة العالم) , ط١ , بيروت , دار الفارابي , ٢٠٠٤ , ص ٢٨ .
٤٣- غازي الصواني , العولمة وطبيعة الأزمات السياسية و الاجتماعية في الوطن العربي , على الموقع التالي www.m.ahewar.org
٤٤- احمد مصطفى عمر ,إعلام العولمة وتأثيره في المستهلك , في : احمد ثابت وأخرون , العولمة وتداعياتها على الوطن العربي , مصدر سبق ذكره , ص ١٦٢.
٤٥- سعيد الصديقي , هل تستطيع الدولة الوطنية ان تقاوم تحديات العولمة ؟ , في : سمير أمينوأخرون , العولمة والنظام الدولي الجديد , مصدر سبق ذكره , ص ١٢٧-١٢٨ .
٤٦- حسن بواطنه ,العولمة والدولة , انهيار ام تغير في وظائفها ، على الموقع www.ahewar.org .
٤٧- حسن محمد طوالبه , مصدر سبق ذكره , ص ١٣٠ .
٤٨- علاء الرواشدة , مصدر سبق ذكره , ص ٥٨ .
٤٩- مجدي حماد , التطورات الأخيرة في الولايات المتحدة الأمريكية , مجلة المستقبل العربي , مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , العدد ٢٧٢ , ٢٠٠١ , ص ٣٥ .
٥٠- جاسم الحريري ,أمريكا : والعولمة , مجلة الدراسات الدولية , مركز الدراسات الدولية , بغداد , العدد ٢٢ , ٢٠٠٣ , ص ١١٠ .
٥١- فرانسيس فوكاياما , نهاية التاريخ واليوم الأخير , ترجمة : حسن الشيخ , ط١ , بيروت , دار العلوم العربية , ١٩٩٣ , ص ٥٣ .
٥٢- فرانسيس فوكاياما, العالم المعاصر هدفهم , مجلة النيوزكالأمريكية, الطبعة العربية , على الموقع : www.annabaa.org.nba
٥٣- محمود حيدر مفهوم السيادة بعد الحرب الباردة : الدولة المعولمة، مجلة التوحيد , مؤسسة الفكر الإسلامي , طهران , العدد ١٠٨ , ٢٠٠٢ , ص ٩٣ .

٥٤- جاسم الحريري , مصدر سابق ذكره , ص ١١٣ .
٥٥- عبد الرشيد عبد الحافظ , مصدر سبق ذكره , ص ٥٣-٥٤ .
٥٦- عمر جمعه العبيدي , العولمة والتحول الديمقراطي في الوطن العربي , ط١ , بغداد , دار الفراهيدي للنشر والتوزيع , ٢٠١٢ , ص٨٠ .
٥٧- الفن توفلر , تحول السلطة بين العنف و الثروة والمعرفة , ترجمة : فتحي بن شتوان ونبيل عثمان , ط٢ , ليبيا , مكتبة طرابلس العلمية , ١٩٩٦ , ص ٥٠٣ .
٥٨- عمر جمعه العبيدي , مصدر سبق ذكره , ص ٧٨-٧٩.
٥٩- اشرف أبوصالحه ,تأثير العولمة السياسية على الوطن العربي , رسالة ماجستير pdf , جامعة الشرق الأوسط , ٢٠١٢ , ص ٨٤ .
٦٠- أسراء علي الدين نوري , العولمة واثرها في تعميق التناقضات الثقافية في دول عالم الجنوب , مجلة دراسات دولية , بيت الحكمة , بغداد , العدد ١٩ , ٢٠١١ , ص ٧٠ .
٦١- عبد الرشيد عبد الحافظ , مصدر سبق ذكره , ص ٤٣ .
٦٢- مجد الهاشمي ,الأعلام الدبلوماسي و السياسي , عمان , دار إسامة للنشر والتوزيع , ٢٠١١ , ص ١٨٣ .
٦٣- صالح سليمان المرقب , العولمة وأثارهاوأساليب مواجهتها , على الموقع الإلكتروني , www.frseregeh.com
٦٤- محمد إبراهيممنصور , العولمة ومستقبل الدولة القطرية في الوطن العربي , في احمد ثابت وأخرون , العولمة وتداعياتها ... , مصدر سبق ذكره , ص ١٢٩ .
٦٥- ماهر الشريف , ماذا يعني الاستقلال الثقافي في زمن العولمة , مجلة النهج , دمشق , العدد ١٦ , ١٩٩٨ , ص ٤٣-٤٤.
٦٦- مجد الهاشمي , مصدر سبق ذكره , ص ٢٠٦ .
٦٧- صالح سليمان المرقب , مصدر سبق ذكره .
٦٨- احمد مجدي حجازي، الثقافة العربية في زمن العولمة ، القاهرة ، دار قباء ، ٢٠٠١ , ص ٤٠ .
٦٩- حميد حمد السعدون , العولمة الثقافية القومية , مجلة دراسات دولية , مركز الدراسات الدولية , بغداد , العدد ٢٤ , ٢٠٠٤ , ص ٦ .
٧٠- توفيق القصير , على مشارف القرن الحادي والعشرين ، الرياض ، مكتبة الافاق المتحدة ، ١٩٩٣ ، ص١٨١ .
٧١- عمر مصطفى سمحة ، مصدر سبق ذكره ، ص٤١ .
٧٢- حميد حمد ، مصدر سبق ذكره , ص٦ .
٧٣- ناجي محمد الهتاش وعبدالخالق شامل محمد ، اثر العامل الديني في الفكر الاستراتيجي الامريكي ، مجلة تكريت للعلوم

السياسية ، جامعة تكريت – كلية العلوم الساسية ، العدد ٢، كانون الثاني ، ٢٠١٥ ، ص ١٠
٧٤- عمر جمعة العبيدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥١ .
٧٥- علاء الرواشدة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٢.
٧٦- محمود حيدر ,مفهوم السيادة بعد الحرب الباردة ... ، مصدر سبق ذكره , ص ١١٢.
٧٧- مجد الهاشمي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٦
٧٨- محمود حيدر , مفهوم السيادة ... ،مصدر سبق ذكره ,ص١١٢-١١٣ .
٧٩- يحيى راضي ، العولمة الثقافية : الانفتاح والاجتياح ، مجلة الواحة على الموقع التالي : www. Alwahamay.com.
٨٠- علاء الرواشدة ، مصدر سبق ذكره ،ص٩٢.
٨١- حسن محمد طوالبة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٣٥-١٥٦
٨٢- يحيى راضي ، مصدر سبق ذكره .
٨٣- علاء الرواشدة ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩٥
٨٤- صالح المرقب ، مصدر سبق ذكره .
٨٥- يحيى راضي ، مصدر سبق ذكره .
٨٦- أمير تاج السر , البعد الثقافي و الفكري للعولمة , على الموقع التالي www.darfiker.com.